

## عظماء على فراش الموت\*:

- يموت راعي الظآن في رعية ميته (جالينوس) في طبه<sup>(١)</sup> -

يلقى المرء منيته على ما عاش عليه، وعندما يقف في آخر محطة من محطات حياته.. تجري على لسانه عبارات لا يمكن أن يعترها الكذب، إذ غدا الأمر واضحاً جلياً أمام ناظره، وبما أن الله تعالى يقول: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: من الآية ١١٩].. فلنعش معهم هنيهات نأخذ منهم العظات والعبر كما قال سبحانه ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾<sup>(٢)</sup> [النمل/٦٩]:

بعدها.. / إليك (نماذج) لخاتمة رجال (صدقوا مع الله) فصدق الله معهم - فالأشياء تتميز بضدها، ولولا الليل.. ما عرف النهار، ولولا الباطل.. ما عرف فضل الحق - :

لما احتضر<sup>(٣)</sup> أبو بكر - رضي الله عنه - تمثلت (عائشة) رضي الله عنها بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت<sup>(٤)</sup> يوماً، وضاق بها الصدر

\* .. وانظر كتاب (هؤلاء ماتوا على طاعة) لـ / حسن الدراوي.

(١) المتنبي.

(٢) يعرف (التاريخ) أن : ظاهره قصص وأخبار، وباطنه نظر واعتبار.

قال ابن خلدون " فإن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يُعدَّ في علومها وخلقها". - ف:

من لم يع التاريخ في صدره  
ومن وعى أخبار من قد مضى  
لم يدر حلو العيش من مره  
أضاف أعماراً إلى عمره -

(٣) الزهد/ ص ١٦٣ -.

(٤) يقصد - الشاعر - بـ (الروح).

فقال أبو بكر - رضي الله عنه-: ليس كذلك يا بُنَيَّة ولكن قولي،  
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق، ١٩]. ثم قال :  
انظروا ثوبيّ هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من  
الميت.

والخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يردد أمنيته عظيمة:  
(اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك في بلد حبيبك) فيستغرب منه أصحابه ذلك ؛  
إذ في تلك الأثناء انقطع الجهاد في داخل المدينة وتحول إلى خارجها، فكيف  
ستكون له شهادة في سبيل الله داخل مدينة رسول الله ﷺ.

وقد حقق الله له هذه الأمنية التي طالما كان يفكر في صناعتها، فقد  
جاء غلام مجوسي وهو قائم يصلي بالناس صلاة الفجر في محراب رسول الله  
ﷺ فطعنه ونال بذلك الشهادة في سبيل الله في بلد حبيب الله في محراب<sup>(١)</sup>  
رسول الله ﷺ.

وهذه نهاية أخرى لا تقل عن سابقتها، وهي شهادة - ابن (أروى)-  
الخليفة الراشد الثالث: (عثمان بن عفان) ﷺ، وقد رأى رسول الله ﷺ في  
منامه قبل وفاته بليلة، فسأله سؤال لطفة وتعطف وحنان قائلاً له: يا عثمان  
حصروك؟ فقال: نعم، قال عطشوك؟ فقال: نعم، فأدلى إليه دلواً فيه ماء  
فشرب حتى روي، فقال له النبي ﷺ: إن شئت.. نُصرت عليهم، وإن  
شئت.. أفطرت عندنا، فاختار ﷺ الإفطار عند رسول الله ﷺ، فأصبح  
صائماً عند الغروب قبل الإفطار وقع شهيداً في سبيل الله وهو محاصر، وكان

(٢) انظر كتاب « شهيد الحراب عمر بن الخطاب » للمرشد ( عمر التلمساني ) رحمه الله .

يتلو كتاب الله تعالى، وسقطت قطرات من دمه الطاهر على المصحف الذي كان بين يديه.

فنال بذلك خاتمة يغبطها عليها كل مؤمن، إذ مات شهيداً في سبيل الله.. تالياً لكتاب الله صائماً مدعواً للإفطار عند رسول الله ﷺ.

ولما حضرت (معاذاً) رضي الله عنه الوفاة.. قال: اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار.

ولما حضرت (سلمان) رضي الله عنه الوفاة.. بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات.. جمع كل ما تركه فبلغت قيمته بضعة عشر درهماً.

ولما حضرت الوفاة (بلالاً) رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ.. قالت امرأته: واحزنانه، فقال بلال رضي الله عنه: واطرباه، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

و.. لما حضرت (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنهما الوفاة.. قال: أقعدوني، فأقعد، فجعل يُسبِّح الله تعالى ويذكره، ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط! ألا كان<sup>(١)</sup> وغصن الشباب نضر وريّان، وبكى حتى علا بكأؤه وقال: (يا رب، أرحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، وأغفر الزلة، وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك، ولم يثق بأحد سواك).

— ما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب في الرأس نازل—

(١) .. يعني: ألا كان هذا التذكير في الشباب وريّانه!

ولما بكت بنات التابعي: (سعيد بن المسيب) رحمه الله عندما أحتضر،  
فقال: لا تبكوا!، والله ما فاتتني تكبيرة الإحرام منذ أربعين سنة- أي  
يشرهم عن نفسه-

وقالت (فاطمة بنت عبد الملك بن مروان) - زوجة عمر بن  
عبد العزيز-: كنت أسمع عمر في موته الذي مات فيه يقول: اللهم أخفِ  
عليهم موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه.. خرجت من  
عنده، فجلستُ في بيت آخر بيني وبينه باب، فسمعتَه يقول: ﴿ تَلْكَ الدَّارُ  
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾  
[القصص: ٨٣] ثم هدأ فجعلتُ لا أسمع حركته ولا كلامه<sup>(١)</sup>.

وقيل له: لما حضرته الوفاة: أعهد يا أمير المؤمنين، قال: أحذركم مثل  
مصرعي هذا، فإنه لا بدّ لكم منه، وبكى، فقيل له: وما يبكيك يا أمير  
المؤمنين؟ أبشر، فقد أحيا الله بك سنناً، وأظهر بكم عدلاً، ثم بكى وقال:  
أليس أوقف لأسأل عن هذا.

وهذا (عبد الله بن المبارك) قد فتح عينيه عند وفاته وضحك،  
ثم قال: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصفات: ٦١].

- .. وفي (الحديث) في هذا، قوله ﷺ :

{ إن كان صالحاً ليرى ملائكة الرحمة مدّ بصره، وإن كان عاصياً  
ليرى ملائكة العذاب مدّ بصره .. }-

ولما حضرته الوفاة.. قال لمولاه: اجعل رأسي على التراب، فبكى  
مولاه، فقال له عبد الله: ما يبكيك؟ قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم

(١) (النبات عند الممات) ص ٩٠.

وأنت تموت فقيراً، فقال: لقد دعوت الله أن يحييني حياة الأغنياء ويميتني ميتة الفقراء.

- .. أخذاً بقول الأول :

كل إنسان عند ميته إنما حظه من ماله الكفن

وقال الآخر :

يكفيك من جمع الدنيا وبهجتها .. هل راح منها بغير الطين والكفن؟! -

و.. بكى (محمد بن المنكدر) عند وفاته، فقيل له : ما يبكيك؟ فقال:  
والله ما أبكي لذنب أعلم أنني أتيت، ولكن أخاف أنني أتيت شيئاً حسبه هيناً  
وهو عند الله عظيم.

وقيل لأحد الزهاد: إن فلاناً -من أقاربه- توفي وترك لك كذا  
وكذا، فقال قل: (إنما بقيت بعده بكذا.. وكذا).

فهذه بعض قبسات مما أثر عن الصالحين، - .. ممن علموا بحسن  
سيرتهم بالتاريخ والأمة- عند الاحتضار..

... وكم من الأتقياء والعبّاد ماتوا وهم يتلون كتاب الله، وكم من  
المؤمنين ماتوا وهم صائمون، ولا نريد سرد الأمثلة، فكم وكم من رجال  
ونساء صالحين ماتوا وهم ساجدون.

فانظر يا أخي القارئ..

هل كانت هذه (النهايات) السعيدة حظاً فقط، أو هي كرامات

فحسب؟!!

لا أبداً، بل -.. بعد فضل الله - ثمرةً لجهاد النفس، وعبادة رب  
الناس، وإخلاصاً لله رب العالمين و(على تخوفٍ منه) تبارك وتعالى، - فكان  
أن التقى الحسينين: حُسن الفعل، وفضل الكرامة -

لكن لا يأس ولا قنوط من رحمة.. من ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>  
[الأنعام: ١٢] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] فلا يخاب  
من يقف في بابهِ رغباً توبته ومرضاته، فها هو: (الحجاج) - وقد أسرف  
على نفسه..! - يقول عند موته:

(اللهم أغفر لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي<sup>(٢)</sup>)، فكان عمر  
بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطها عليها.

وقال أبو جعفر المنصور - لما احتضر - لوزيره (الربيع): يا ربيع هذا  
السلطان.. لا سلطان من يموت<sup>(٣)</sup>.

ولما حضرت الخليفة العباسي (المأمون) الوفاة.. أمر بجمل دابته، ففرش  
له، فأضطجع عليه، ووضع الرماد على رأسه، وجعل يقول:  
(يا من لا يزول ملكه، أرحم من زال ملكه)<sup>(٤)</sup>

(١) جاء في تفسير السعدي - ص ٢٥١ -: أي كتب على نفسه كتاباً أن رحمته تغلب غضبه.. وأن الله قد فتح  
لجميع العباد أبواب الرحمة.

(٢) .. أي/ يا فعال لما تريد، ويا من لا يضره إساءة المسيء، ولا ينفعه إحسان المحسن - انظر ما تقدم هامش (١)  
ص ١٣٥ - بفضلك.. أسألك ذلك، وهذا إستتناساً بمعنى قول الشاعر:

سألت الله يجمعني بـ (سلمي) أليس الله يفعل ما يشاء!

بلى، سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ٤٤].

(٣) العاقبة/ ١٢٨.

(٤) المصدر السابق/ ١٣٠ -

حتى قال - أخاه - المعتصم عند موته: لو علمت أن عمري هكذا قصير.. ما فعلت.

هكذا.. يبقى سير أولئك، تتوارث فهمهم، وذكرهم، وكما قيل:

المرء بعد الموت أهدوثةً فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وذاك داعية أن الناس في هذه الدنيا- وجرجرة خيالهم في ذكريات آتلة عودها- قد يعمهون في (نشوتها)!. مع بعض الإشارات والإلماحات، فنسأل الله حين لقائه أن يخفف علينا سكراته.. بعد عمر طيباً مباركاً<sup>(١)</sup> لا طويلاً<sup>(٢)</sup> المفضي إلى (أرذله) - وقد: استعاذ منه صلى الله عليه وسلم بقوله: {أن أرد إلى أرذل العمر}، قال (د. حسن القرعاوي):

المرء ليس بأعوام يعيش بها .. لكنه عمر من ضحى ومن بدلاً<sup>(٣)</sup>

عندها (خذ) حسن سيرك.. من فم الأعداء<sup>(٤)</sup> - أيضاً:-

وحسبك -بعدها- مآثرٌ شاهداتٌ على فضلك، مقراتٌ بتقواك -إن شاء الله- وتقدم لـ (الحسن) الذي من قبل قدّمت ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات/٦١]، والله يجازي بالقليل كثيراً، ويعفو عن السيئات وهو الغفور الرحيم.

(١) العمر المبارك\*، هو ذلك الذي دعى به صلى الله عليه وسلم، في حين استعاذ - كما تقدم ص١١١ -

طول العمر.. أو أرذله!

\* أي: الخير الثابت الذي لا ينقطع، - أما الركعة فهي: الزيادة والنماء-

(٢) - كما قال ابن سينا في دعائه: اللهم إرزقني عمراً عريضاً - أي ذلك المنتج المبارك-، لا الطويل على غير طائل.

(٣) .. للمزيد طالع كتاب "علو الهمة" لـ محمد أحمد إسماعيل المقدم-

(٤) .. وأنظر ما تقدم - في هامش (١) ص٥٢-

قال الخليل بن أحمد :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون.. كصالح الأعمال

وقد صدق رحمه الله، إذ رُوي - بعد موته - في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟ قال ذهب علم اللغة..، وذهب علم النحو..، وكدت أهلك: لولا أني كنت أعلم عجائز سورة الفاتحة<sup>(١)</sup>.

— ( لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) كما في الحديث.

وفي السير/ أن الشاعر "جرير" رُوي في المنام - بعد موته - ف سُئل:

ما فعل الله بك؟ فقال (غفر لي.. لأني أذنت في الصحراء لوحدي)

- أي: لا يراي.. سوى عالم الغيب والشهادة سبحانه!.. -

وكذا أجاب أبو نواس حين روي في المنام، بعد موته:-

أن الله غفر لي بوصفي<sup>(٢)</sup> (زهرة النرجس) - يقصد قوله :

على كذب الزبرجد شاهداتٌ بأن الله ليس له شريك -

.. ثم خذ هذه البشرى من (الرحمة المجتباة) صلى الله عليه وسلم: { ما من

أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا

كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله {

-ف-

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى -

(١) و أجلّ معنى لهذا، حديث: {خيركم من تعلم القرآن وعلمه} - رواه البخاري.

(٢) والقصص في هذا كثيرة، لأن الله فضله واسع، ويعطي على القليل الـ (كثير) - انظر ثنايا

ما تقدم ص٦٦-

.. ثم عليه - تخلصاً لذمته - أن يكتب وصيةً يذكر فيها ما له وما عليه، كما يجب على ورثته بإنفاذها كأداء ديونه وما عليه من المتعلقات وغيرها بعد موته، قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة/ 180] أي أسبابه- كالمرض المشرف على الهلاك- والخير: المال الكثير عرفاً<sup>(١)</sup>، وكذا قوله تعالى ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ [المائدة: 106] أي : حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه<sup>(٢)</sup>، كما ورد عنه ﷺ:

{ ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين، وله شيء يوصي فيه، إلا ووصية مكتوبة عنده }<sup>(٣)</sup>.

.. بعدها.. ثم ليدكر نفسه أن يدع ورائه أحد الثلاثة الباقية- بعد موته - : { صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له<sup>(٤)</sup> } كما في الحديث، وحبذا كلها، وقد نظمها الإمام (السيوطي) -رحمه الله-:

إذا مات ابن آدم ليس يجري عليه من فعال غير عشري  
علوم بثها ودعاء نجل وغرس النخل والصدقات تجري  
وراثه مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو إجراء نهر  
وبيت للغريب<sup>(٥)</sup> بناه يأوي إليه، أو بناء (محل ذكر)<sup>(٦)</sup>  
وتعليم لقرآن كريم فخذها جملة عُدتْ بـ (عشر)

(١) تفسير السعدي - ص ٨٥ -

(٢) تفسير السعدي - ص ٢٤٦ -

(٣) أخرجه البخاري ١٠٠٥/٣ .

(٤) رواه مسلم ١٦٢١، وفي رواية لابن ماجة قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : ( إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه أو مسجد بناه وبيتاً لابن السبيل بناه).

(٦) - وهو/ الـ (وقف) ، أي : تحبب أصلاً، وتسبيل نفعه -

(٥) .. يقصد (مسجد).

.. وقد روى البخاري ومسلم حديث : { يتبع الميت ثلاثة فيرجع  
اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وما له وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى  
عمله }.

## تذكراً دائماً

- أن لحظة الموت يصدّق فيها كل طاغي<sup>(١)</sup> أو ظالم لنفسه.
- لا قنوط أو يأس من رحمة الله لمن مات مخلصاً لربه.
- العمل الصالح والسيرة الحسنة، يتبعان المرء حين.. وبعد موته.
- ابق لي عملاً بعد الموت.. يدر عليك خيراً وذكراً حسناً.

(١) .. كذا قال فرعون - حين أدركه الغرق - : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [يونس/٩٠].

## أحكام هامة.. مما تتعلق (بالوفاة)

إن ملك الموت عندما يحيط رحاله في منزل ويأخذ منه أحداً.. يجعل كثيراً من أهل الميت في حيرة ودهشة، لا يدرون ما يصنعون، وربما أخطئوا في حق الميت من حيث أرادوا الإحسان إليه، فيغدو صوابهم طيشاً، وفعلهم خطأ، ورشدهم غيأً، وحبهم ضرراً.

ولكن الشرع الحنيف جاء ليوجه ملكة المشاعر المفرطة في الغالب

- إزاء هذا الحال -

وبهذا يأخذ بزمام رشدنا رسولنا ﷺ - بعد أن يشخص لنا وقع الفراق واللوعات التي تحصل هنا، و أيضاً .. بعدها- ليصف لنا الدواء، حين يعلم ﷺ أصحابه الوقاية من الأوجاع كلها، بـ: (الورد) الذي يُقال به حال الإحتضار بـ:

{بسم الله الكبير، نعوذ بالله العظيم من شر عرق نَعَار، ومن شر حر النار}{<sup>(١)</sup>.

وهنا تنبيه لمن يكون عند (المحتضر).. إذ ينبغي له أن يلقن المحتضر الشهادة برفق ولين، وبدون أوامر - بطريق غير مباشر- كأن يجلس بجانبه و يردد فقط على مسامعه: {لا إله إلا الله محمد رسول الله}، ولا يقول له: قل: لا إله إلا الله، أو أي صيغة تُفهمه أنه يلقنه، أو غيرها مما يدل على ذلك.

(١) أخرجه الترمذي ٤٠٥/٤ .

و بمجرد ما ينطق بها.. يتركه ولا يكرر عليه، وإذا نطق بما يخالفها<sup>(١)</sup>  
يستتره عليه ولا ينشره، إذ الميت يرى ما لا نراه، وقد قال ﷺ: { لا يستتر  
عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة }<sup>(٢)</sup>.

- وكذا يُسنّ لمن عند المحتضر قراءة القرآن الكريم-

فإذا مات.. أغمضت عيناه، ولُيّنّت مفاصله، ويقول مغمضه:

{ اللهم اغفر له، وارفع درجاته في المهديين وأخلفه في عقبه في الغابرين،  
واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه).

كما جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله  
ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره<sup>(٣)</sup>، فأغمضه ثم قال: { اللهم أغفر لأبي  
سلمة.. الخ } الدعاء السابق<sup>(٤)</sup>.

ويُسنّ - عندها - أن يُعلم الناس بموته، وأن يُعجّل في غسله وتكفينه  
والصلاة عليه.. ومواراته إلى مثواه الأخير.

بعدها يكثر أولاده وأحبابه من الترحم عليه، ويرددوا: { إنا لله وإنا  
إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا، وأخلفنا خيراً منها }، كما صح ذلك  
عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) وفي ورد حديث: { إذا احتضر أحدكم يرى مُدَّ عينيه ملائكة العذاب أو ملائكة الرحمة } .. يا رب ترحمنا.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠).

(٣) شق بصره: أي بقي مفتوحاً.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣٤٠/٢ - فالعلة/ في عموم اللفظ، لا خصوص السبب -

{ ما من عبدٌ تُصيبه مصيبة فيقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، اللهم أجرنا في مصيبتنا، وأخلفنا خيراً منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبتنا، وأخلف له خيراً منها } ثم.. قالت: (فلما توفي أبو سلمة.. قلت ذلك، فأخلف الله تعالى خيراً منه، وزوجني برسول الله ﷺ) رواه مسلم.

وجاز البكاء عليه (حال) الموت وبعده<sup>(١)</sup> - لكن (بعده) خلاف

الأولى-

وهذا البكاء فقط بذرف الدموع وحزن القلب<sup>(٢)</sup>، كما قال رسول الله ﷺ: { إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا<sup>(٣)</sup> على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولن نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله، وإنا إليه راجعون }<sup>(٤)</sup>، و عند (مسلم): وكان يفعل ذلك ويقول: { تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب }.

-ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع-

وقد رأى عمر رضي الله عنه امرأة تبكي على (خالد بن الوليد) رضي الله عنهم، فقال: (على مثل أبي سليمان فـ لتبكي .. البواكي).

---

(١) وهذا يعلمنا/ أن الإسلام دين يتعامل مع البشر وإنسانيتهم وضعفهم، أمام فاجعة الفراق (الموت)، وهول وقعها عليهم -خصوصاً ذوو المتوفى -

أيضاً- ومن ناحية ثانية- دليل على كمال هذا الدين العظيم، ومدى بلوغ تعاليمه جميع مناحي الذات البشرية.

(٢) .. لا النياحة، التي فُهِينا عنها. بحديث (ثلاث في أمي من أمور الجاهلية لا يدعونها: منها النياحة على الميت) -

(٣) .. لأنه: ﴿..بَشَرًا رَسُولًا﴾ كما قال الله في رسوله الأعظم فإنه يخالط مشاعره هذه العاطفة، واجتهاده في

(إنسانيته) كما وضّحه في قوله عليه الصلاة والسلام: { اللهم هذا قسمي في ما أملك... } الخ

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٩/١ .

- قال (ديك الجن) عبد السلام بن رهبان.. زافراً<sup>(١)</sup>:

لو كان يدري (الميت) ماذا بعده بالحي منه.. بكى له في قبره  
غُصصٌ تكاد تفيض منها نفسه ويكاد يخرج قلبه من صدره-

ويحرم الندب والنوح<sup>(٢)</sup> وضرب الصدر ونحوه، كما قال ﷺ:

{ ليس ممّا<sup>(٣)</sup>، من ضرب الحدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية }<sup>(٤)</sup>.

وهناك تعليل آخر: إن (البكاء) على فقدان الشيء، هو :

إخراج ذاك من القلب - وقد تمكن منه -، ولأن عملية الإخراج  
تحتاج إلى فعل قوي كيما يستطيع بتر جذره من عروق القلب.. من هنا  
تتهوى قدرة المقاومة إلى أدنى درجاتها.. فتسكب العبرات من القلب،  
والدموع من العين، والأحزان من المشاعر، والآلام -بدورها- تشجّ الكيان..  
حتى تبدأ العملية الفعلية لبتتر ذلك العضو (الحبيب.. القريب.. العزيز) من  
قواعده بالقلب، فلا تجدك إلا حاوي القوى ضعيف القدرة.. تسلم مع وهن  
الذات أمام لحظة الوداع والفراق.. و .. و ..

- لكن بعدها .. هاك قول المتنبّي:

**ستألف فقدان الذي أنت فاقد كالفك فقدان الذي أنت واجد!**-

(١) لما .. لا، .. وهو يترّف من أحداقنا دمعة معه.. ويتر من قلوبنا جذوة جذوه.. وينسلّ من بين أيدينا  
قطعة.. قطعة.

(٢) النوح: البكاء على الميت .. - حتى يُبكي الباكي غيره -.

(٣) أي : ليس من المؤمنين بالله الراضين بقضائه، وليس من المسلمين المسلمّين لإرادته.. وقدره، ومثل هذا يُجلّي  
معنى : (الإيمان يزيد وينقص) - والله أعلم -.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٦/١ .

و.. إذا بلغه وفاة صاحب (له) أو حبيب أو أخ في الإسلام، فليقل  
 كما جاء عنه ﷺ: {الموت فزع، فإذا بلغ أحدكم وفاة أخيه.. فليقل: إنا لله  
 وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم أكتبه عندك في المحسنين،  
 وأجعل كتابه في عليين، وأخلفه في أهله في الغابرين، ولا تحرمنا أجره، ولا  
 تفتنا بعده} (١).

وهذا ترشيد.. عن نثر الرافعي - رحمه الله -:

(لما قيل مات..، جعل يكلمني المتكلم ولا أعقل! فإن الكلمة التي تأتي  
 بالمصيبة لا تأتي بمعان لغوية .. كغيرها من الكلام!)  
 ولهذا بينه ﷺ أن: {الصبر عن المصيبة الأولى} .  
 ولن تجد أربط جأشاً من أبي بكر الصديق رضي الله عنه.. وهو يودّع  
 صاحبه، وينعاه إلى الثقلين:

في كلمته المشهورة- وهو يعزي الأمة في فقد قائدها العظيم ﷺ - :

(من كان يعبد محمد فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله  
 حي لا يموت) ثم تلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
 الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ..﴾ [آل عمران/١٤٤].. لا،  
 إنقلاب، ونحن ندرك.. ﴿إنك ميت وإهم ميتون﴾.

و.. لما ماتت امرأة الفقيه (أبي ربيعة)، دفنها ونفض يديه، ثم رجع إلى  
 داره، فحوقل (٢)، واسترجع، وبكت عيناه!

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٥٩/١٢ .

(٢) أي يقول ( لا حول ولا قوة إلا بالله)، وهذا دعاء عظيم أمرنا بقوله مع كل آذان- بعد/ حي على الصلاة..

حي على الفلاح - بل إن الملائكة لما أعيأها حمل العرش، قال المولى سبحانه وتعالى لهم :

قولوا ( لا حول ولا قوة إلا بالله).. فحملوه- والله أعلم-

ثم قال يخاطب نفسه: الآن، ماتت الدار - أيضاً - يا أبا خالد!!  
 و يستحبّ له أن ينشغل بذكر الله تعالى والتفكير فيما يلقاه الميت،  
 وما يكون مصيره، وأن هذا آخر الدنيا، ومصير أهلها، وليحذر كل الحذر من  
 الحديث بما لا فائدة فيه<sup>(١)</sup>، فإن هذا وقت فكر وذكر وعظة، تقبح فيه الغفلة  
 واللهو، والاشتغال بالحديث الفارغ، وإذا كان الكلام بما لا فائدة فيه منه  
 عنه في جميع الأحوال، فإنه من الأولى بهذا الحال.

.. كان من هديه، ﷺ، تسجية الميت إذا مات، وتغميض عينيه،  
 وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون  
 وبكى<sup>(٢)</sup>، وكذلك الصديق أكبر على الرسول ﷺ، فقبله بعد موته.

ومعناه - كما يوضح الشيخ (د. عبدالله الركبان) -:

" المؤذن .. ينادي السامعين ليحضروا إلى الصلاة ويحيوا ذلك النداء وهم غير قادرين على ذلك إلا إذا منحهم الله  
 القوة والقدرة على ذلك، فالإنسان يدعو ربه أن يُعينه على إجابة تلك الدعوة فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله،  
 أي لا أستطيع القيام بذلك إلا بعون من الله".

(١) سوى الإكثار من الدعاء له، وذكر خلاله الحسنه، ومناقبه الحميدة، وقد ورد - عن أنس عمر رضي الله عنهما:  
 أن رسول الله ﷺ قال: (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم)..  
 - وليس من قبيل قول (توسيدس): الأموات هم دائماً موضع إطراء -  
 فيما يجب ترك القول فيه..، وذكر شيء بمسّه - من صفات سيئة تخلقية أو تخلقية -، جاء في هذا حديث ما قال  
 في عكرمة: ( لا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤدي الحى).

ومن الطريف/ ما حدث لـ (نوبل) - صاحب الجائزة المعروفة - .. وربّ ضاره نافعة: فـ .. ذات يوم من  
 أيام ١٨٨٨م تسوّى (لودفيغ نوبل) صاحب إحدى الشركات النفطية.. والتبس الأمر على بعض الصحف  
 فنشرت خيراً عن وفاة شقيقه (الفريد نوبل) مخترع الديناميت، وكانت صيغة الأخبار كلها هجوم على الرجل  
 مثل: مات عدو الإنسانية، نوبل يرحل بعد أن زرع الدمار.

وقرأ (الفريد نوبل) رأي الناس فيه فاتخذ قراراً بتسخير ثروته التي جناها من ابتكاراته للإلفاق على جوائز تقدم  
 سنوياً للذين يقدمون إسهامات مميزة في خدمة السلام والعلم والآداب..)

- ولعل في بعض الحوادث مع طرأفتها، إحسان لمن مسّه مثل هذا.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عائشة.

وكان يأمر بغسل الميت ثلاثاً أو خمساً، أو أكثر بحسب ما يراه الغاسل، ويأمر بالكافور في الغسلة الأخيرة، وكان لا يغسل الشهداء قتلى المعركة، وذكر الإمام أحمد أنه نهى عن تغسيلهم، وكان يترع عنهم الجلود والحديد ويدفنهم في ثيابهم، ولم يصل عليهم.

وكان إذا مات المحرّم، أمر أن يغسل بماء وسدر، ويكفن في ثوبيه وهما ثوبا إحرامه: إزاره ورداؤه، وينهى عن تطيبه وتغطية رأسه.

وكان يأمر ولي الميت أن يُحسن كفنه، ويكفنه في البياض، وينهى عن المغالاة في الكفن، وكان إذا قصر الكفن عن ستر جميع البدن، غطى رأسه، وجعل على رجليه من العشب<sup>(١)</sup>.

.. يُندب إلى المشي إثر الجنازة، ولهذا أجرٌ عظيم، كما في الحديث { من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، وشهدها حتى تدفن فله قيراطان } قيل: وما القيراطان؟ قال: { مثل الجبلين العظيمين<sup>(٢)</sup> } - وفي رواية: { القيراط مثل جبل أحد } -

- ثم: (إن السعيد من وعظ بغيره).

فالمؤمن (كيس فطن) - كما وصفه ﷺ -، وقد قال - واعظاً - في الحديث الذي (تقدم): {الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني!}، كما قال تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمْ

(١) انظر زاد المعاد (١/٥٠٢-٥٠٤).

(٢) البخاري (١٥٨/٣) مسلم (٩٤٥).

أَلْتَكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ. ﴿التكاثر/١-٢﴾ ولا تقل: وإذا بقي من العمر بقية، فإنه.. ومن اليوم بداية باقي العمر!

وقال الحسن البصري لرجلٍ حضر جنازة: أترأه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالحاً، قال: نعم، قال: فإن لم يكن هو فكن أنت.

- ف / يا من بدنياه اشتغل

وغيره طول الأمل

الموت يأتي فجأةً

والقبر (صندوق) العمل -

..ولتتذكر أن الموت (يتخطّأك) لغيرك، وسوف يتخطّى غيرك

(إليك)، وإنك في يوم آتٍ مثله: (على آلة حذباء محمول) .

فنستعد له - لترحل - بإذن الله تعالى : بزاد (التقى).

على أن لا تنسدر.. انتظارا لقدمه، فحسب!، لكن بهمة الجد

والعمل - أي : بقاعدة: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لأخرتك

كأنك تموت غداً!

## تذكروا دائماً

- على من استحضر، أو حسّ بالوفاة أن يكتب (وصيته).

- جواز البكاء على الميت، وحرمة النواح.

- .. إن الصبر عند المصيبة الأولى.

- الاتعاظ .. والاستعداد للموت، وإنه إليك .. قادم!